

أثر التنشئة الاجتماعية والسياسية في بناء الاتجاه السياسي التونسي

الباحثة : خلود عبد الكرييم المسعودي
جامعة ديالي / كلية التربية

المقدمة

تعد دراسة التنشئة الاجتماعية والسياسية من الدراسات الحديثة في علم الاجتماع السياسي؛ إذ إنها تسعى لتفسير العلاقة بين سمات الشخصية وتنشتها وأثر هذه التنشئة والتربية في تكوين الاتجاه السياسي، كون الاتجاه السياسي هو عبارة عن أحد نتائج عملية التفاعل بينهما. ويشير الواقع إلى أن العديد من التساؤلات هوما يتعلق بالنفس الإنسانية ، فالتساؤلات عن كيفية تكوين الفرد و الجماعات لاتجاهاتهم السياسية المختلفة ،بناءً على ما نشئوا عليه وكيفية تكوين وتشكيل الاتجاه السياسي لدى الأفراد والجماعات ، وعن أسباب كون بعض الأفراد متطرفون والآخرون محافظون ، وعن تغيير الرأي والاتجاه السياسي للأفراد والجماعات ، وإن مثل هذه التساؤلات التي تظهر بوضوح صلة علم السياسة الوثيقة بعلم الاجتماع وعلاقتها بعلم النفس ، وأصبحت تشكل فرعاً من فروع علم السياسة الحديث، لاسيما في الولايات المتحدة الأمريكية، و يقع هذا النوع من الدراسات السياسية في المجتمع في مجال علم النفس ضمن ما يسمى بعلم النفس السياسي .ويشمل ذلك التنشئة الاجتماعية والسياسية للأفراد والتي تقوم بتوجيهه الأفراد لما هو في صالح النظام السياسي بصورة خاصة والمجتمع بصورة عامة وتقوم بذلك من خلال بعض مؤسسات أو هيئات التنشئة الاجتماعية السياسية مثل: الأسرة والقبيلة والمؤسسة الدينية والنظام السياسي. وما لا شك فيه أن عملية التنشئة الاجتماعية تعد من أولى وأصعب العمليات التي تقوم بها المؤسسات الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية ، إذ إنها العملية التي ينتقل بها الكائن البشري من وضعه البايولوجي المرسوم على أساس النوع إلى كائن يستطيع أن يتعايش مع المجتمع في عاداته وقيمته وتراثه الاجتماعي والسياسي وهذه العملية ذات مميزات تركيبية وتطورية تتم من خلال عمليات التعامل الاجتماعي وفي وسط اجتماعي معين، كما أنها تبدأ منذ الولادة ، وهي عملية تتصرف بالاستمرارية وتتأثر بالمتغيرات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية .

كما أن عملية التنشئة الاجتماعية بكل تفروعاتها وفصولها أصبحت من أبرز المطالب والاهتمامات المباشرة والبارزة في حقول الاختصاصات النفسية والتربوية وعلم الاجتماع السياسي كما هي ذات مفاهيم أساسية في الحقل السياسي في عالم تقوده السياسة، وترسم صورته الحالية والمستقبلية.فضلا عن ارتباط كبير وأساس ما بين التنشئة الاجتماعية ونسقها

السياسي، إذ إن التنشئة السياسية هي التي تحدد وترسم سلوك الفرد في أبعاده السياسية وتثبت اتجاهاته في هذا المجال، لما تؤديه من دور مؤثر من خلال تصارع الأيديولوجيات السياسية فضلاً عن تنوع مبادئها ما بين الليبرالية والاشتراكية وما بين الدينية والعلمانية، إذ إن عالمنا اليوم هو عالم التعديدية والفكريّة والأيديولوجية والتي أسهمت وسائل الاعلام بكل تنوّعاتها في إصاله بكل يسر وسهولة. أن التنشئة الاجتماعية بصورة عامة ليست أحادية الجانب بل أنها تتكون من انساق مركبة وأساسية في تشكيل شخصية الإنسان وبناء اتجاهاته ومنها النسق الشخصي والنسق الاجتماعي ومنه يتفرع الشق السياسي والذي يعبر عن علاقات الأفراد واتجاهاتهم بشأن النظام السياسي وبما يمكن أن يسهم في تدعيم البنية الاجتماعية السليمة والمستقرة من خلال النسق السياسي واشكال السلطة وطريقة اداء عملها ومبرراتها الشرعية وتمثيلها الارادة الشعبية وتنفيذ السياسات العامة.

وأن التنشئة السياسية عبر ادارتها وبرامجها يمكن ان تعبّر عن مضامين الفعل الاجتماعي في اطاره السياسي وهي من خلال استمرارها لابد ان ترسخ اتجاهات تتعكس في عملية السلوك السياسي أو في اتجاهات سياسية من شأنها تدعيم النظام السياسي أو جهة سياسية معينة. ان ما يعزز بناء التنشئة السياسية هو عمق ثقافة المؤسسات سواء تلك التي تتبناها الدولة (ثقافة النظام) أو الأحزاب السياسية وهذه الثقافة لا تخرج عن الأطر الفكرية والفلسفية للأنظمة والأحزاب سواء أكانت السلطة أم خارجها.

وعلى ضوء ما تقدم يمكن القول بأننا لكي نستطيع فهم عملية التنشئة الاجتماعية والسياسية بكل تفاصيلها من مراحل حياة الفرد الاولى وحتى أن يكون شخصاً مؤثراً اجتماعياً وسياسياً وأن نحدد اصل التفاوت في اتجاهات الأفراد وكيفية تكوين آراؤهم السياسية بشكل دقيق لا بد لنا من أن ننظر إلى الأمور الثلاثة التالية بصورة عامة وفي تونس بصورة خاصة وهي:

- ١- الثقافة العامة للمجتمع التونسي الذي يعيش فيه الفرد مثل القيم والمفاهيم الخلقية والروحية السائدة فيه.

- ٢- الثقافة الخاصة التي اكتسبها الفرد التونسي من خلال انتماصه إلى الجماعات البشرية الأولى كالأسرة والأصدقاء والمدرسة... وما إلى ذلك والجماعات الثانوية كالجنس والطبقة والعنصر والطائفة ... وما شابه ذلك.

- ٣- الخبرات الخاصة والاستعدادات النفسية التي اكتسبها الفرد التونسي خلال حياته والتي لا يشترك معها فيها غيره من الأفراد بالمقدار أو بالشكل نفسه. واعطاء اهتمام خاص لهذه الخبرات بعد التغيير.

Introduction

The study of social and political upbringing is one of modern studies in political sociology; it seeks to explain the relationship between personality traits and their formation and the impact of this formation and education in shaping the political direction. The fact is that many questions concern the human soul. The questions about how individuals and groups form their different political orientations, based on what they have created, how to shape and shape the political direction of individuals and groups, the reasons why some individuals are extremists and others are conservative, Political, political, social, and political groups. Such questions, which clearly demonstrate the relevance of sociology to sociology and their relationship with psychology, have become a branch of modern political science, especially in the United States of America. The social and political upbringing of individuals, which directs individuals to what is in the interest of the political system in particular and society in general, and through some institutions or bodies of social-political formation such as: family and tribe The religious establishment and the political system. There is no doubt that the process of socialization is one of the first and most difficult processes carried out by formal and informal social institutions, as it is the process by which the human being moves from biological status based on gender to an organism that can coexist with society in its customs and values and its social and political heritage This process is characterized by structural and evolutionary characteristics that are carried out through social processes and in a particular social environment. It also begins from birth, a process characterized by continuity and influenced by social, political, cultural and economic variables.

The process of socialization in all its branches and classes has become one of the most prominent and direct demands and concerns in the fields of psychological and educational disciplines and political sociology as they are basic concepts in the political field in a world led by politics, and paints a picture of current and future. In addition to the great link and the basis between socialization And political coordination, as it is the political formation that determine and draw the behavior of the individual in its political dimensions and stabilize trends in this area, because it plays an influential role through the struggle of political ideologies as well as the diversity of its principles between liberalism and socialism and Religious and secular, as our world today is a world of pluralism, intellectual and ideological, which contributed to the media in all its diversity in delivering it easily and easily. The socialization in general is not one-sided, but it consists of complex and fundamental patterns in the formation of the human personality and build directions, And the social

context from which the political segment is divided, which expresses the relations of individuals and their attitudes about the political system and what can contribute to the consolidation of the social structure sound and stable through the political system and forms of power and the manner of performance of work and justification and legitimacy and representation Rada popular implementation of public policies.

And that political formation through its administration and programs can reflect the implications of social action in its political framework, which is through the continuation must be established trends reflected in the process of political behavior or political trends that strengthen the political system or a particular political entity.

What strengthens the formation of political formation is the depth of the culture of institutions, whether those adopted by the state (culture of the system) or political parties, and this culture does not deviate from the intellectual and philosophical frameworks of the systems and parties, whether power or outside.

In light of the foregoing, it is possible to say that in order to understand the process of social and political upbringing in all its details from the stages of the individual's first life and to be a socially and politically influential person and to determine the origin of inequality in the attitudes of individuals and how to formulate their political views accurately we must look at the three things Following in general and in Tunisia in particular:

- 'The general culture of the Tunisian society in which the individual lives, such as the moral and spiritual values and concepts prevailing therein.

- 'The special culture acquired by the Tunisian individual through his belonging to the primary human groups such as family, friends, school, etc., and secondary groups such as race, class, sect, sect ... and the like.

- 3 - Special experiences and psychological preparations acquired by the Tunisian individual during his lifetime, in which no other individuals participate in the amount or in the same form. And give special attention to these experiences after the change.

أهمية البحث :

تكمّن أهمية هذا البحث في طرّحه موضوع التنشئة الاجتماعية والسياسية بأسلوب موضوعي وبالأدلة والبراهين حول واقع الشأن التونسي ، وتحديد الفجوة والشّرخ الكبير الذي عانى ويُعاني منه الشعب التونسي جراء التنشئة المتضادة والمنقسمة التي خلقت مجتمعين منفصلين يتعايشان رغم الاختلاف، وتكمّن أيضًا أهمية البحث في طرّحه كيفية الاستفادة من تجارب التاريخ والمشكلات التي مرّت بالشعب التونسي بمجال التربية والتنشئة وعدم الاستمرار في ارتكاب الأخطاء في تربية وتعليم المجتمع الجديد وغرس قيم التسامح والوعي بالآخر والفهم المتبادل وقبول الاختلافات مهما كبر حجمها في رؤية تربوية - تشريعية بناءة.

اشكالية البحث :

يواجه المجتمع في تونس تحديات كبرى تتمحور حول طرق المساهمة في بناء دولة القانون والمؤسسات وتركيز نظام ديموقراطي يضمن الحقوق والحريات للمواطنين . وتعتبر التنشئة الاجتماعية والسياسية الركيزة الأساسية للإنجاح أي مسار اجتماعي او سياسي انتقالي واتضح ذلك جلياً في مرحلة ما قبل الثورة والمرحلة الثانية التي تلت انتخابات المجلس الوطني التأسيسي في ٢٣/١١/٢٠١١ حيث بينت مختلف الأزمات التي مر بها المجتمع التونسي وما تركته التنشئة الاجتماعية والسياسية من اثر في سلوك المواطنين السياسي . لذا فإنه ليس بالضرورة ان ينتج من تنشئة معينة محددة ذات النتائج المرجوة ، فنجاح حزب النهضة في الانتخابات وتوجه الاصوات نحوه جاء نتيجة التنشئة الاجتماعية والسياسية العلمانية ، فهل يصح ان تنتج التنشئة عكس اهدافها؟ وهل تنقسم التنشئة ضمن مراحل حياة الافراد ؟

فرضية البحث :

يعتمد الباحث على فرضية مفادها بأن هناك علاقة متبادلة التأثير و مباشرة بين التنشئة الاجتماعية السياسية وتكوين اتجاه سياسي معين في الحياة الاجتماعية والسياسية التونسية ، ويعتمد ذلك على طريقة التنشئة السابقة للثورة والحالية والتي يمكن أن تُنشئ و تكون اتجاهات سياسية متقاربة لتحد من حجم الاختلافات بين ابناء الوطن الواحد، فوجود تنشئة سليمة وصحيحة في تونس تخلق مجتمعات متألفة تتقبل الاختلاف . اذ يفترض الباحث انه لم تعد التنشئة الاجتماعية والسياسية تصل الى اهدافها المبتغاة في حالة الاندماج والاقتراب العالمي الذي نشهده اليوم ، انما اتخذ الاتجاه السياسي للأفراد طريق القرارات الشخصية والانية ذاهبا بعيدا عن الافكار الاولى للتنشئة الافراد.

المبحث الاول: التنشئة الاجتماعية والسياسية في تونس ومؤسساتها:

ان اتجاهات التنشئة الاجتماعية والسياسية في تونس تأخذ اهميتها من التنوع الثقافي للمجتمع الذي يمازج ما بين الثقافة الغربية في اتجاهات الليبرالية والحضارة الاوروبية وما بين الانتماء إلى تقاليد وأصول الحضارة العربية والاسلامية وما بين التيارات الدينية التي اخذت تتغلب في ثقافة المجتمع التونسي. وهناك مؤسسات عدة للتنشئة الاجتماعية والسياسي منها:

اولا : الاسرة التونسية :

وتشكل الأسرة التونسية أو (العائلة)^(١) النواة الأساسية للمجتمع التونسي ، اذ سعت تونس منذ استقلالها في ٢٠ مارس ١٩٥٦ الى إيلاء الأسرة التونسية المكانة التي تستحقها في المنظومة المؤسساتية والاقتصادية والاجتماعية والقانونية الوطنية، تكريساً لسيادة واستقلال البلاد، وسعياً للمحافظة على مقومات وخصوصيات المجتمع التونسي عبر المزاوجة بين قيم الأصالة والتماسك والتضامن والتعاون والتوق إلى الحداثة والتطور^(٢) وفي هذا السياق مثلت مجموعة الاجراءات التشريعية والقواعد القانونية التي بنتها الدولة منذ الاستقلال في تطوير قانون الأسرة في تونس وجعله مثلاً يحتذى به ليس على المستوى الاقليمي والم المحلي فحسب بل على الصعيد الدولي^(٣)، إذ كانت تونس من الدول السباقة في مجالات تحرير المرأة وتحقيق المساواة بين الجنسين وحماية حقوق الطفل بما يعكس الفناعة بأن الأسرة التونسية تشكل المحور الأساس والهدف الأساسي لمисيرة التنمية والتحديث^(٤) وعندما سنّ المشرع التونسي مجلة الأحوال الشخصية سنة ١٩٥٦ بعد مضيّ بضعة شهور من تاريخ الاستقلال كانت تحدوه رغبة ملحة في أن تكونَ لتونس تشریع عصري في مادة الأحوال الشخصية ، وذلك لمجابهة ما عسى أن تتمسك به السلطات الفرنسية من عدم وجود مثل ذلك التشريع في مفاوضات دُقِّقة بشأن توحيد المحاكم أي المحكمة الشرعية والمحكمة الموسوية والمحكمة الفرنسية وتعويضها بمحكمة وطنية^(٥) ان الاسرة التونسية بحسب تعريف عبد الوهاب بو حديبة هي (عائلة مغربية مسلمة ذات انتماء مشرقي)^(٦) فهذه الوحدة الاجتماعية ماتزال تحمل

^١ العائلة: يستعمل لفظ عائلة مرادفاً للفظ أسرة من ذلك حليم بركات في مؤلفه المجتمع العربي المعاصر، واخرين من يميز بين اللفظين لكن من منطقيات متغيرة من مثل الحجم والتركيبة أو السوسيو نشأة منهم الطاهر لبيب وليليا بن سالم وزهير حطب اذ يذكر حطب (كلمة أسرة تحمل في معناها صورة مصغرّة للحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، حينما كان الناس مرتبطين بالقبائل والعشائر والبطون...ومن هنا يبيّدان كلمة أسرة هي في نطاق الفعل أسر لعل المقصود ازر بمعنى ناصر وقوى بتبدل السين بالزاي، بينما الكلمة عائلة مستحدثة مشتقة من الفعل عال أي مجموعة افراد يعيشهم عائل او كاسب) وببناء عليه يفضل الطاهر لبيب استعمال لفظ أسرة للدلالة على أصغر تشكيلة أو جماعة قبيلية وأدناها في سلم حساب النسب. ينظر: زهير حطب، تطور بنى الأسرة العربية والجذور التاريخية والاجتماعية لقضاياها المعاصرة، بيروت، معهد الانماء العربي، ١٩٧٦. ص ٤٣. أما في تونس فيشير مصطلح العائلات إلى تلك العائلات الحكومية المعدودة المحظية بالرئيس زين العابدين بن علي التي تمارس النهب المنظم لخيرات البلاد و منها عائلة لطيف وعائلة عمار وعائلة شيبوب وعائلة ليلي الطرابيسى وآخوانها وعائلة سليم زروق وعائلة مبروك. انظر: نيكولا بو وكتيرين غراسية، الوصية على عرش قرطاج: السيطرة على تونس، باريس، ٢٠٠٩، ص ٨٩.

^٢ هاشمي أجيلي ، خصائص قانون الأسرة في تونس ، نشر في الاتحاد الاشتراكي يوم ٢٠١١-٥-٣١ ، على محرك البحث الاخباري مغرب : <http://www.maghress.com>

^٣ المصدر السابق ، ص ٣.

^٤ هاشمي أجيلي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣.

^٥ احمد القصاب ، تاريخ تونس المعاصر ، ترجمة: حمادي الساطي ، الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاج ، تونس ، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٤ ..

^٦ Sassi Ben Halima, « La filiation paternelle légitime en droit tunisien », Thèse de Doctorat d'Etat,

. Tunis, 1976, Introduction,page,45

في احشائها ترسبات النموذج الموروث بصورة الأب التسلطي ماتزال حاضرة بشكلٍ أو باخر بالوعي الجماعي اعتباراً لترسبات تراكمت في الخيال الجماعي عبر صيرورة كاملة تمتد في ثنياً التاريخ ولعبت دوراً هاماً في ترسيخ هذه التمثلات المحسدة في نمط علاقة النبي الله إبراهيم بأسحاق أو علاقة إبراهيم باسماعيل أو علاقة يوسف بإخوته من ناحية وأبيه من ناحية أخرى عليهم السلام^(٧)، وإن هذه الاختلالات التي تشهدها العائلة أو الأسرة تتعكس أساساً على عملية تنشئة الطفل، طالما كما

يذكر بوحدية أن نظام التنشئة الاجتماعية نفسه يعني من أزمات في العمق فإن النموذج العائلي لمنطقة المغرب باترياركالي^(٨)، ممتد، تسلطي، وعلى درجة عليا من التراتب والاندماج وفي إطاره تجزّ مهام عدة مثل المهام التعليمية، والتشريعية، والاقتصادية، والانتاجية، والدينية، والثقافية، والجمالية، والترفيهية، والقانونية، وتتجزّ هذه المهام تبعاً لجدلية الموروث والواحد ويضيف الباحث إلى أن العائلة التونسية فضلاً عن أنها سلطوية فأنّها تميل إلى المركزية وتقوم على وحدة المصالح والتضامن والتكميل في الأدوار وهي مجمع قيمي بحد ذاته وهي القيم التي تميل إلى شرعة الميل إلى التسلط السياسي والديني والثقافي^(٩) لكن في مقابل هذه الترسبات الموروثة عرفت العائلة التونسية ما يشبه الثورة التحديثية استهانتها تشريعياً "مجلة الاحوال الشخصية" وما تجسده هذه المجلة من تغييرات على مستوى الأسرة بنية وأنشطة وأدواراً، فالتحول من نمط الانتاج الأسري إلى نمط الانتاج الاقتصاد المأجور سيغير من وظائف الأسرة ويزيد من تخصيصها بعد أن توقفت عن كونها وحدة انتاج اقتصادي، إذ يبادر أحد أفرادها بمغادرتها بحثاً عن عمل بينما كان، لتبقى الأسرة لتعطي الحاجة العاطفية واتمام عملية التنشئة الاجتماعية ومع ذلك فسوف ينتج الاستقلال في العمل استقلال في اتخاذ القرار وبالتالي تراجع في هامش سلطة كبار السن ، هذه السلطة الممتدة التي سحبت العائلة النسوية من تحتها البساط . كذلك يعد النموذج المجتمعي التونسي نموذج مراوح-متارجح يجمع بين خصائص نموذجين متناقضين : أحدهما متصل بحمل سمات موروثة وأخر منشود، له أبعاده الحديثة ، وبين هذا وذلك عاشت العائلة التونسية وضع التأرجح فحن أمام نموذج عائلي تونسي ثانٍ : إذ إننا لسنا أمام نموذج فرداني ولا أمام نموذج جماعي ولا أمام نموذج موروث بحت ولا أمام واحد بتمامه ، فلقد أكد عبد الباقي الهرماسي أن هذه العائلة (ويقصد العائلة التونسية) أصبحت نزاعة أكثر فأكثر نحو النموذج

^٧ حافظ عبد الرحيم، الزيونية السياسية في المجتمع العربي، قراءة اجتماعية-سياسية في تجربة البناء الوطني بتونس، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، آب ٢٠٠٦، ص ٣٨٦.

^٨ الباتيريك، كلمة يونانية مكونة من شطرين، ترجمتها الحرافية "الأب الرئيس"؛ ومن حيث المعنى فهي تشير إلى من يمارس السلطة بوصفه الأب، على امتداد الأسرة، ولذلك فإن النظام المعتمد على سلطة الأب، يدعى "النظام الباتيريكي".

^٩ حافظ عبد الرحيم، مصدر سابق ذكره، ص ٣٩٨.

النوعي وتوفير فرص الاختيار الشخصي للشريك والحد من عدد الأبناء وتوجهها متزايدا نحو الاعتبار الفعلي للمرأة شخصا اقتصاديا تحافظ على الاسرة ودعم وجودها المؤثر^(١٠).

ثانيا : القبيلة التونسية: يذكر محمد نجيب بوطالب ان القبيلة في شمال افريقيا لا تشبه القبيلة في المشرق او الجزيرة على الرغم من وجود إثنين في المنطقة ،فوجود قبائل عربية وأخرى ببربرية يمنع من اعتبار مجموع عرب شمال افريقيا قبيلة او مجموع برب الرمنطقة يمتلكون قبيلة ،والسبب هو وجود تواصل ثقافي واجتماعي وتدخل قرافي بما فرضته الاحداث.^(١١)القبيلة في تونس ماتزال تحافظ على بعض أطر وجودها الاجتماعي والجغرافي اذ تحقق اندماج القبائل البربرية والعربية بشكل يكاد يكون نهاية^(١٢).فالقبيلة مثل المرجعية الاولى للفرد من خلالها يتحقق وجوده ،وفي اطارها يندمج وأليها يعود ومنها يستمد قوته ونصرته لذا فان التنظيم الاجتماعي والمعيشي والسياسي في تونس قام على وحدة القبيلة التي تتحدد في اطارها العلاقات بين الافراد والجماعات على اساس روابط الدم وخط النسب ،حيث تسير الامور المعاشرة والسياسية باستقلالية عن باقي التنظيمات^(١٣). وفي تونس فإن الفرد الذي يرفض قيم الانتماء التي تملّيه قبيلته فإنه يتم اقصاؤه معنويا ثم ماديا ثم جسديا ليعيش الصعلكة والفتوة ، أو يتحول الى (دعى) ينتمي الى قبيلة اخرى تؤويه لكن غياب النسب عنه في اطاره الجديد يحط من مكانته ويكون سببا في إذلاله وحرمانه من بعض حقوقه ولاسيما السياسية(الصعود في التراتبية)^(١٤)ويتركز دور القبيلة في التنشئة الاجتماعية والسياسية في أغلب البلدان العربية ومنها تونس بالتأكيد في الواقع الامر وليس في المفروض أو الذي تتشدد النظم السياسية في جعل الفرد صالحًا لذوي القرابة فرابطة الدم والابوة تعد الابرز في القبيلة لما يولد ذلك من قوة في ايمان الفرد بهذه الهيئة الاجتماعية المهمة سواء على صعيد النظام الاجتماعي او السياسي ذاته او على صعيد الفرد والعائلة وفي كلتا الحالتين نجد دور القبيلة اكثر فاعلية من سواها . فشرعية سلطتها تبقى من كونها المرجعية الاخيرة للفرد مادامت الدولة بعدها الكيان الاكبر لا تشارك في إدارة شؤونه بل هي كيان خارجي مفروض عليه وهو يجد نفسه مسلوب الحقوق عمليا حتى وان كانت هذه الحقوق مضمونة دستوريا الامر الذي يؤسس الشعور بالاغتراب والانعزal ليعود واعيا او لا واعيا الى البنى الاجتماعية الاولية بحثا عن مرتجعية موازية^(١٥).يشير الدكتور هشام شرابي الى ذلك التعايش المثير

١٠

^{١١} حافظ عبد الرحيم، مصدر سبق ذكره ، ٣٠٦.^{١٢} عبد الله محمد الغامدي ،القبيلة والقبانية او هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي ،المغرب ،دار البيضاء ،٢٠٠٩ ،٢٠٠٩، ص ١٥٧.^{١٣} محمد نجيب بو طالب ،الأبعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية - مقاربة سوسيولوجية للثورتين التونسية والليبية ،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،سلسلة دراسة واراق بحثية ،الدوحة ،بلا ،٢٠١١ ،ص.^{١٤} محمد بوطالب سوسيولوجية القبيلة في المغرب العربي ،مصدر سبق ذكره ص ٦٣.^{١٥} عبدالله محمد الغامدي ،مصدر سبق ذكره ،ص ١٢٢.

للاستغراب بين مثالية الخطاب وواقعية الممارسة الاجتماعية، فالفرد قد يدعى أخلاصه المطلق للوطن ولشعارات ولقيم الوحدة والتحرير والعدالة والمساواة والديمقراطية والعلانية لكنه في الوقت نفسه يتمسك بالأهداف الخاصة المرتبطة بالبني الأولية والتي تتناقض مع ما رفعه في خطابه، فالمواطن هنا أو الفرد لا يدرى أنه ابن الدولة الوصية المتకفة بكل طباته المادية منها والرمزية أم إنه ابن القبيلة التي تؤويه من جور دولة ظالمة^(١٦) إذا كانت القبيلة ماتزال تحافظ على أطراها التاريخية والثقافية في بعض أقطار المغرب العربي ولاسيما في ليبيا والمغرب، فإن وجودها في تونس تعرض إلى عملية تفكك حقيقي قضى على مرتکراتها المادية والسياسية والعسكرية إن الحديث عن اندماج الجماعات القبلية في تونس ما بعد الاستقلال، لا يجب أن يحجب عنا بعض الصعوبات والتوترات التي كبحت عملية البناء السياسي والاجتماعي على مدى ستة عقود. على الرغم رغم رغم من الجهود التي بذلتها الدولة الوطنية والنخب السياسية والفكرية في سبيل نجاح هذه العملية، إلا أنها كانت مشوهة ببعض الأخطاء في عمليات التحليل والفهم وبناء التصورات، ومن أبرزها^(١٧):

- ١- النظر إلى القبيلة نظرة سلبية بعدها أداة تخلفٍ وركود ووسيلة انقسامٍ وشدٍ إلى الماضي، وغض الطرف عن الأدوار الإيجابية التي لعبتها، لا سيما في مجال مقاومة الاحتلال .
- ٢- التعالي على الواقع وصراعاته وظواهره، واهتمام دراسة جذور التوترات والاحتجاجات، والحكم على الواقع أحکاماً قسرية تفترض أنَّ عمليات التحديد قد غيرت هذا الواقع بشكل جذري على الشخصية الثقافية والمجتمعية من الاندثار.
- ٣- الاستكانة إلى فرض ثقافة المدينة على الريف، وخلق حالاتٍ من الشعور بالغبن النفسي والاجتماعي والثقافي في المناطق والجهات المهمشة ولدى المنحدرين منها. وهكذا، لم تحظ أغلب المناطق ذات الإرث القبلي بتحقيق تحول جذري في البنى الاقتصادية والاجتماعية، ويقطع مع النماذج الاجتماعية المرتبطة في الذاكرة الجماعية بآليات النمط الرعوي والفلادي البسيط. ولم يجد الفاعلون في هذه المناطق بديلاً لإرضاء ذواتهم غير الاستناد إلى تاريخ قبلي ، يعتمد على الميل إلى الاستقلالية والتمرد والتلويع بالعنف في وجه الدولة التي ما يزال وجودها مرتبطة في الذاكرة المحلية بواقع الهيمنة على مناطق تدعها محيطاً ضريبياً فحسب، وهو ما يفسر بضعف مشروعية حضورها في هذه المناطق^(١٨). ولقد عرفت المدة الأخيرة بعد ثورة ٢٠ كانون الثاني/يناير ٢٠١١ بعض المعارك بين سكان الأحياء والقرى والمدن التونسية، كما عرفت ظهور نزعات الجهوية والعروشية التي كان بورقية قد وضع خططاً

^{١٦} محمد نجيب بو طالب، *الابعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية - مقاربة سسيولوجية للثورتين التونسية والليبية*، مصدر سبق ذكره، ص ٢٥.

^{١٧} نقلًا عن:- حافظ عبد الرحيم ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٦٩.

^{١٨} المنصف وناس، *الدولة والمسألة الثقافية في المغرب العربي*، تونس، سراح للنشر ، ١٩٩٥، ص ١٦.

وبرنامج عمل متكاملاً لمقاومتها، بهدف إحلال فكرة الوطنية التي أطلق عليها تسمية "الوحدة الوطنية"^(١٩).

ثالثاً: المدرسة في تونس :

يحسب للمدرسة التونسية أنها كانت عملاً رئيسياً من عوامل التغيير الاجتماعي الكبير الذي عرفه المجتمع التونسي منذ الاستقلال وتحديداً منذ ٤ نوفمبر ١٩٥٨ تاريخ أول إصلاح تربوي عرفته البلاد التونسية المستقلة والذي أمر حراها اجتماعياً أعطى - بمشاركة عوامل أخرى مثل العوامل السياسية، القانونية... لتونس طابعها الحادثي. ويحسب للثورة التونسية أنها أتاحت فرصة التفكير في مختلف المنظومات التي بنى عليها المجتمع توازنه الظاهر خلال مدة لا يستهان بها ومنها بطبيعة الحال مؤسسة التربية. إذ كان الدور الموكول إلى المنظومة التربوية لعام ١٩٥٨ يتجسد في التأسيس لقواعد العيش المشترك في إطار مشروع مجتمعي محوره مدرسة واحدة لأجل وطن واحد وشعب واحد وثقافة واحدة في إطار نظام سياسي واحد. بلغة مغايرة إذ كانت رؤية النخب السياسية لتحديث البلاد تمر وجوباً من خلال إعادة بناء قواعد العيش المشترك والتأسيس لقواعد خالية من الانتماءات القبلية والعروشية والجهوية. وخلالية كذلك من كل تفاوت مهما كان مأتاه لاسيما كل تفاوت بين الجنسين. ولهذا السبب فإن استرداد الحكم من الفرنسيين كان يعني لدى النخبة السياسية التونسية "قبل كل شيء استرداد جهاز التعليم لتوظيفه في تغيير ملامح المجتمع بما يتماشى والظروف الجديدة"^(٢٠). فالمدرسة التونسية ومنذ إصلاح نوفمبر ١٩٥٨ كانت تتندد التأسيس للعيش المشترك. لكن النسيج الاجتماعي التونسي وبعد مرور ثلاثة وخمسون سنة على صدور إصلاح نوفمبر ١٩٥٨ بدا في حاجة إلى ترميم العقد الاجتماعي أو إلى إعادة بناء قواعد العيش الجماعي. فالعودة إلى الانتماءات الأولية سجلت ظهورها تحت عناوين مختلفة (العرش/الجهة...) كما أن الالتزام بالفضاء العام كفضاء للجميع بدا صورة مهترئة في أذهان الفاعلين المختلفين حتى أن حواراتهم ونقاشاتهم لم تتجاوز في أغلب الأحيان تبادل التهم. فلهذه الأسباب وغيرها صار من الضروري بالنسبة إلى مختلف مؤسسات التنشئة الاجتماعية والتقييف من أسرة ومؤسسات إعلام وغيرها أن تولي عناية كبرى لمسألة العيش الجماعي. وإن التحدي كبير ولا يتحدد مسألة أن المدرسة تقدم دروساً ومتمنحة تلاميذًا وتعلن نتائج. نعم إن هذا في صلب مهامها وهو من نقط قوتها، ولكنه ليس المهمة الوحيدة ولا الأساسية. فالمدرسة أمامها تحدي بناء الإنسان، بناء المواطن ومن ثمت بناء المجتمع على النحو الذي يكون فيه الجميع أحراراً ومسؤولين يبذلون التعبص وللعنف ومؤمنين بفوائد الاختلاف

^{١٩} محمد نجيب بو طالب، "سوسيو لوجية القبيلة في المغرب العربي، مصدر سبق ذكره، ص ١٠.

^{٢٠} الحبيب الدريوش و منير السعیداني، التنمية المحلية في تونس: المجتمع المحلي والتنمية: الاستراتيجيات والتحديات، جامعة صفاقس، قسم علم الاجتماع، ٢٠٠٦، ص ٩٩.

والتوع ومستعدين لممارسة التعدية السياسية والاجتماعية في إطار قانون وضع بطريقة ديمقراطية .

وفي تونس تحاول هذه المؤسسة النهوض بواقعها ومحاراة التجارب الناجحة في بعض الدول العربية، وذلك بتوفير الظروف المناسبة لنمو التلاميذ والطلاب نموا جسميا وعقليا واجتماعيا وانفعاليا ينماشى مع ما جرى من احداث، بعدها مرت تونس في المدة الأخيرة بأحداث اجتماعية - سياسية مهمة لابد من اخذها بعين الرعاية عند الحديث عن التعليم في تونس، فقد ولد سقوط نظام الرئيس بن علي في مطلع عام ٢٠١١ أمالا لدى الشعب التونسي في حياة أفضل في المجالات جميعها، ويُعتقد أن هذا التحول سيفتح أفقا إيجابية لا سيما في مجالات العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص ومكافحة الفساد علاوة على ممارسة الحقوق المدنية والسياسية والحريات العامة (بما فيها الدينية) وتدعم الديمocratie^(١). وفي هذا السياق أنشئ عدد من المؤسسات ذات الإرادة الإصلاحية القوية والطموح المعلن في إحداث قطيعة مع أساليب الماضي، وسندت إلى هذه المؤسسات اختصاصات واسعة جداً تضاهي تطلع الحكومة والشعب إلى بناء بلد حر وديمقراطي . وفي هذا الصدد، أنشأ المجلس الوطني التأسيسي لجنة معنية بالشؤون التربوية هدفها إعادة النظر في نظام التعليم إذ يوفر تعليماً يليق بتونس الجديدة فمعدلات الوصول إلى التعليم على جميع المستويات جيدة في البلد وقطعت أشواطاً^(٢) كبيرة صوب بلوغ أهداف مبادرة التعليم للجميع والأهداف الإنمائية، لا سيما في ما يتعلق بالتعليم الابتدائي للجميع وبالتالي بين البنات والأولاد في الوصول إلى التعليم^(٣). إذ بلغ التحاق البنات بالمدارس مستويات لافتة للنظر على نحو ما يتجلى في نسبة تسجيلهن في الجامعات: فالإناث يمثلن ٦٠ في المائة من مجموع الطالب التونسيين^(٤). وخصصت للتعليم، منذ الاستقلال، حصة تناهز الثلث من الميزانية الوطنية أما مستويات التعليم في تونس فهي: التعليم التحضيري والتعليم المدرسي والتعليم العالي والتدريب المهني. وسيتم التركيز على المناهج المقررة بعدها ابرز مدخلات التنشئة الاجتماعية التونسية المباشرة، فضلاً عن بقية الوسائل الأخرى غير المباشرة والمتمثلة في اجواء المدرسة والانشطة الطلابية دور المعلم وقيمه واتجاهاته، اذ يؤدي الوسط المدرسي او الاجواء المدرسية دوراً مركزياً في بناء مختلف جوانب العمليتين التعليمية والتربوية، وفي مقدمتها الجوانب المعرفية المتصلة بالبرامج

^(١) بلقاسم بن سالم ؛ التعليم العصري ونظام التوجيه المدرسي في تونس، دراسة تاريخية مؤسسية اجتماعية، تونس: الجامعة التونسية، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٨ ،سلسلة علوم التربية، ص.٦.

^(٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ مدرسة المستقبل، تونس ، الألكسو، إدارة برامج التربية، المؤتمر الثاني لوزراء التربية التعليم والمعارف، العرب، دمشق ٢٧ - ٢٨ ربیع الثانی ١٤٢١ھ - ٣٠ يولیو/ تموز ٢٠٠٠ م ،ص ٣٧.

^(٣) السيد كيشوري سينغ ، تقرير المقرر الخاص المعنى بالحق في التعليم ،بعثة إلى تونس (٣٠ نيسان/أبريل - ٩ أيار/مايو ٢٠١٢ ،الجمعية العامة للأمم المتحدة ، مجلس حقوق الإنسان،ص.٢).

^(٤) أعلى علاني ، الإرهاب في تونس: الجذور وأفاق التجاوز وطنياً وعربياً- جامعة منوبة- تونس ،بحث القى في المؤتمر الدولي الأول لوزارة حقوق الإنسان تحت شعار: "الإرهاب انتهاك لحقوق الإنسان" ،بغداد- ٩ و ١٠ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠١٣ ،ص.٨.

والدروس، والاساليب المتصلة بالمقاربات والمناهج ووسائل التدريس، وكذلك اللوجستية المتصلة بالأدوات والإمكانيات وال العلاقات المتاحة لإدارة الصنوف والمؤسسات. أما الغاية القصوى من كل العمليات المحددة للوسط المدرسي والخاصة به، هي أولاً وأخيراً التلميذ بعده مُنطلاقاً وهدفاً ومرجعاً لكل جوانب العملية التعليمية.

المبحث الثاني :

دور حزب النهضة في التنشئة الاجتماعية السياسية في تونس:

تعد حركة النهضة حركة إسلامية ، تمثل أهم الاتجاهات البارزة في التيار الإسلامي (الإخوان المسلمين)، وترجع بدايات تأسيسها إلى نهاية السبعينيات من القرن الماضي تحت اسم (الاتجاه الإسلامي) من أبرز مؤسسيها راشد الغنوشي وعبد الفتاح مورو ، واقتصر عملها في البداية على الجانب الفكري^(٢٥)، وبما أن النهضة لم تجرب الديمقراطية من قبل، فإن الاستقطاب الحالي يمكن أن يغريها بالتوجه في مسار غير ديمقراطي. فضلا عن ذلك فإن هويتها الإسلامية تبقى غير مؤكدة. ففي بداية السبعينيات كانت عبارة عن مجموعة صغيرة من الدعاة الحياديين سياسياً عرفت بالجماعة الإسلامية^(٢٦)، ثم أصبحت هذه الحركة منظمة حقيقة في منتصف عام ١٩٩١ ، عندما اتخذت لها اسم حركة "الاتجاه الإسلامي". وأعلنت أنها كانت تريد إحياء الإسلام في تونس، وإعطاء الناس الحق في حكم أنفسهم وتأسيس العدالة الاجتماعية استناداً إلى المبادئ الإسلامية والمساهمة في نهضة العالم العربي والإسلامي. وكانت تعترف بالديمقراطية والتعددية السياسية^(٢٧)، عكساً للأحزاب السياسية التقليدية، فهي من الأحزاب الإسلامية: لها أهداف دينية واضحة وتختلط بنشاط دعوي. ولذلك فإنها "حزب" و "حركة"، كغيرها من الحركات المستوحاة من الإخوان المسلمين. ويهدف حزب النهضة إلى الحكم بطريقة تترجم الفكر السياسي الغربي إلى لغة إسلامية، أو باختصار، الأسلامة من الأعلى. كما تركز الحركة على الدعوة وتحاول إقناع التونسيين أن الإسلام مشروع اجتماعي راسخ، أو بعبارة أخرى، الأسلامة من الأسفل كخط للتنشئة السياسية بين عامي ١٩٩١ و ١٩٩٤، منع النظام السياسي الحزب الذي كان عندها قد تبني اسم حزب احركة النهضة على الأقل داخل حدود البلاد. مع إجبار النشطاء والمؤيدين للحزب على الذهاب إلى المنفى، إذ تحولت قيادة الحزب إلى لندن وباريس. وقضت النهضة حوالي عشر سنوات في العراء^(٢٨)، منذ

^{٢٥} كان هناك مخطط عام ٢٠٠٤ لجعل عدد الشعب في التعليم الثانوي يرتفع من ٥ إلى ٩ بما يلائم أكثر مع التزايد المطرد لعدد التلاميذ وتتنوع ملامحهم (ينظر : وزارة التربية والتكوين ؛ الإدارة العامة للبرامج والتقويم المستمر، تونس ٢٠٠٤ ، ص - ٦٥-٦٦).

^{٢٦} عز الدين دخيل ، الاندماج والاندماج...الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا،

جامعة تونس ، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي بيثير الباي، تونس. ٢٠١٠، ص ٦٣.

^{٢٧} هدى والي شويع، اشكالية صياغة الدسائير في الوطن العربي بعد التغيير (تونس نموذجا) رسالة ماجستير منشوره ، كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ٢٠١٤ ، ص ٦٩.

^{٢٨} كانت تهدف إلى العودة إلى مصادر الإسلام باستعمال مقاربة سلفية. ركزت أنشطتها على التعليم الروحي، والتلمذة على التقوى، والتوكيل، والجهاد، والأخوة والزهد. ينظر Azzam S. Tamimi, Rachid Ghannouchi, A Democrat within Islam (London, 2001), p55

أو أوسط العقد الأول من الألفية وحتى عشية سقوط بن علي، وكانت الحركة ممزقة بين السعي من جهة إلى المصالحة الوطنية والتوصل إلى تفاهم مع النظام، ومن جهة أخرى إلى موقف متغصب يستبعد أي نوع من المفاوضات مع الديكتاتورية^(٢٩). ولقد كان حزب النهضة من الأحزاب الضعيفة جدا خلال الانتفاضة، ولعبت دورا ثانويا فحسب فيها^(٣٠) ، ثم وبعد أن أصبحت قانونية في ١٦ مارس ٢٠١١ ، خرجت من ٢١ عاماً من العطالة خلال المرحلة الأولى من العملية الانتقالية التي انتهت بانتخابات ٢٣ شرين الأول/أكتوبر ٢٠١١ والتي فازت فيها بـ ٨٧ مقعداً من أصل ٢١٧ مقعداً. وقد اتهمت معظم الأحزاب العلمانية الحركة بإخفاء أجندتها الدينية المتطرفة. على الرغم من أن الحزب كان يدعم المساواة بين الرجال والنساء على قوائمه الانتخابية، علما أنه قدم برنامجا انتخابيا ديمقراطيا ووزع بيانا ينص على أن الحركة لن تمارس نشاطاً سياسياً في المساجد. فإنه ظل يبدو إسلامياً كما كان في الثمانينات. وخلال هذه المدة، ركزت الحركة على الدفاع عن السجناء السياسيين وعانت من العديد من الخلافات الداخلية وتحدى الأعضاء سلطة قائدتها التاريخي، راشد الغنوشي. ويمكن رسم التنشئة الاجتماعية السياسية لحزب النهضة بالأهداف التي صاغها ضمن برامجه السياسية وحملاته الانتخابية وأطروحته الفكرية ، إذ حدد البيان التأسيسي للحركة والذي يعد كذلك وثيقة عمل وعبرت عنه الحركة بالمهام الواجب تنفيذها وحددت كذلك الوسائل الكفيلة بتحقيق تلك المهام إذ جاء فيه تعمل هذه الحركة على تحقيق المهام التالية^(٣١):

أ-بعث الشخصية الإسلامية لتونس حتى تستعيد مهمتها كقاعدة كبرى للحضارة الإسلامية بأفريقيا ووضع حد لحالة التبعية والاغتراب والضلal .

ب-تجديد الفكر الإسلامي في ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتغيرة وتنقيته من رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب .

ج-أن تستعيد الجماهير حقها المشروع في تقرير مصيرها بعيداً عن كل وصاية داخلية أو هيمنة خارجية .

د-إعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية وتوزيع الثروة بالبلاد توزيعاً عادلاً وفق المبادئ الإسلامية .

ه-المساهمة في بعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام على المستوى المحلي والعربي وال العالمي^(٣٢).

Hamdi Mohamed el-Hachmi, *The Politicisation of Islam: A Case Study of Tunisia* (Colorado, 2000); Mohammed Harbi, *L'islamisme dans tous ses états*)Paris, 1991,p 99^{٢٩}

^{٣٠} عز الدين الدخيل، مصدر سبق ذكره، ص ٦٦.

^{٣١} البيان الختامي للمؤتمر ١٨ للنهضة، ٢٠٠٨ . مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء في النهضة، تونس، سوسة،

جزيران/يونيو ٢٠٠١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢، ص ٣٣.

^{٣٢} هدى والي شويع، مصدر سبق ذكره، ص ٧٥.

لقد عنت حركة النهضة بشكل أساس بتنشئة الشباب التونسي على مسألتي الحرية والثقافة والاسلام المعتمد الا انه حتى الان لم يطالب الاتجاه الاسلامي في تونس بالدولة الاسلامية، فقد ركز على تحقيق الحريات وليس إقامة حكم اسلامي ،اما المسألة الثقافية فقد بالغت الحركة بالغاية لدرجة ان الشباب ينظرون إليها وકأنها حركة ثقافية وقد بدا هذا جليا في المهام والوسائل التي وردت في البيان التأسيسي وطروحات مفكريها وخاصة راشد الغنوشي الذي أثرت دراسته الفلسفية في كتاباته^(٣٣) وبصفته أبرز قوة سياسية في تونس، وقد حزب النهضة الجهد الرامي إلى إعادة تعريف الإسلام التقليدي التونسي من خلال ترأسه الحكومة. إذ شدد قادة النهضة على المذهب المالكي بعده جوهر الإسلام التونسي، وأداروا جهود الحكومة نحو تنظيم المساجد وتعيين الأئمة وسيطرة الخطاب الديني^(٣٤). وإن هذا النضال من أجل الترويج للإسلام التقليدي يشمل عنصراً بيروقراطياً ومؤسسياً فضلاً عن عنصر أيديولوجي. على المستوى المؤسسي، حيث فرض حزب النهضة سيطرته على مساجد تونس^(٣٥). التي يبلغ عددها ٥٠٠٠ مسجد.» وعندما تولت الحكومة المؤقتة السلطة في تشرين الثاني -نوفمبر ٢٠١١، سيطر الدعاة غير الحكوميين على خمسة المساجد تقريراً وقد عممت حركة النهضة الى الجمع في التجربة الاسلامية على خصائص العقلانية ومداومة النظر والتقويم ولا يجردها هذا الامر من الشمولية . ويدرك الغنوши في سلسلة مقالاته (المعرفة ،المجتمع، الحبيب) قوله: "أما الاسلام وباعتباره برنامجا شاملأ لحياة البشر تلتزم فيه الرؤية العقائدية الوجودية والمذهب الاجتماعي فهو ذو طبيعة عالمية انسانية لا يماري فيها"^(٣٦) وبال مقابل واجهت الحركة صعوبة في عملية التنشئة الاجتماعية السياسية للأجيال عكس ما مر علينا في التجمع الدستوري الديمقراطي الذي استفاد من كل الاوضاع والظروف والاحاديث لفرض ايديولوجيته، ذات العامل اي الواقع التونسي الذي كان مزيجا من الركام الثقافي ومثل عيناً تقليلا حيث تطلب منها الجمع بين معطيات ثقافية تصل احيانا الى حد التعقيد وربما التناقض كالتراث والمعاصرة ،والجمع بين ثقافة الغرب والشرق مع ابراز الخصائص التونسية لدى الشباب التونسي في العموم^(٣٧).

ولكن على الرغم من هذه الانتكاسات والتنازلات التي قدمها حزب النهضة في الأعوام الثلاثة الماضية - لاسيما عبر الإصرار على ذكر فرض الشريعة في الدستور،

^{٣٩} المصدر نفسه، ص ٣٩.

^{٤٠} Hamdi Mohamed el-Hachmi, id ib, p89.

^{٤١} رضوان احمد شمسان الشيباني ، الحركات الاصولية الاسلامية في العالم العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٥ ، ص ٢٤.

^{٤٢} المصدر نفسه ، ص ٣٦.

^{٤٣} رضوان احمد شمسان الشيباني ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٥. *المثير للأهمية هو أن قائد النهضة راشد الغنوشي رفض فكرة الاسلام التقليدي وأكد أن «الإسلام واحد والقرآن والسنة واحد» وأشار عوضاً عن ذلك إلى «الثقافة الإسلامية التونسية». مقابلة الكاتب حايم ملكا مع رشيد الغنوشي، واشنطن، ٢٦ شباط/فبراير ٢٠١٤.

ومعارضة السعي إلى إقصاء رموز النظام السابق من الحياة السياسية، والموافقة على التحري من الحكومة في كانون الثاني/يناير الماضي - ظلت قاعدتها الشعبية موالية لها حتى الآن. وفي الانتخابات التشريعية، فازت النهضة بأكثر من ثلثين بالمئة من الأصوات، وهي نسبة قد تمثل فعلياً قاعدة الدعم لها في المجتمع: وإنها حركة سياسية كبيرة لكن لديها مشاكل على الصعيد الداخلي ، ومنها (٣٨):

- ١- ان الحركة ليست مسيطرة على الإطلاق في بنية النظام السياسي.
- ٢- تشهد بين حين و الآخر انقسامات داخلية، ففي نيسان/أبريل ٢٠١٣، تحدى ٣٩ عضواً من كتلة النهضة النيابية زعيم الحركة راشد الغنوши، وصوّتوا لمصلحة إقصاء رموز النظام السابق من الحياة السياسية، مع العلم بأن المادّة المعنية سقطت في مجلس النواب بفارق ضئيل في التصويت.
- ٣- غالباً ما أبدى أعضاء النهضة استيائهم من تمييع برنامجها الديني، بيد أن الأحزاب المنشقة عن الحركة فشلت في استقطاب التونسيين.
- ٤- هناك معارضة قوية لموقف الغنوشي المؤيد لآلية الحوار الوطني التي أدت إلى خروج النهضة من السلطة هذا العام، إلا أن الغنوشي ما يزال على رأس الحركة ولم تتأثر قيادته لها بهذه المستجدات..
- ٥- أن وجودها في المعارضة لمدة طويلة بعيداً عن التنازلات المحتومة التي تفرضها إدارة الحكم ، يتبيّح لها المجال كي تعيد تنظيم صفوفها وتركز على توسيع قاعدتها. ولقد جرت مناقشة انقسام الحركة إلى حركة دينية ترتكز على الوعظ، وحزب سياسي يركّز حصراً على العمل السياسي، داخلياً خلال الأعوام الثلاثة الماضية، إلا أن هذه المناقشة لم تُتبّت في المؤتمر الأخير الذي انعقد في عام ٢٠١٢ وأرجئ اتخاذ القرار بعد نقاشات طويلة غير حاسمة. ولا تزال هناك مخاوف داخل الحركة من أن الانقسام سيؤدي إلى إضعاف الجناح السياسي، أو أن الأعضاء الأكثر محافظة سيرفضون ما يعدونه تخلياً من جانب النهضة عن عمل الأعوام الثلاثين الماضية، عندما كانت الحركة تصرّ على أن مشروعها الشامل يطال الحياة الخاصة والعامة على السواء(٣٩). إلا أن هناك تبايناً متزايداً داخل النهضة بين الناشطين الذين يرکّزون على الوعظ وينبذون السياسة، وأولئك الذين يؤمنون أن مصالح الحركة تتحقق . بالطريقة الفضلى عبر تأدية دور في بناء المؤسسات الحكومية الديمقراطية الجديدة. لقد زادت الهزيمة الانتخابية من حدة هذه الخلافات الداخلية وأدت إلى انقسام النهضة إلى حركة دينية وحزب سياسي حالها حال المجتمع التونسي ككل.

^{٣٨} حايم ملكا ، الصراع على الهوية الدينية في تونس والمغرب العربي ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، برنامج الشرق الأوسط CSIS، أيار /مايو ٢٠١٤ ، ص ٢.
^{٣٩} رضوان احمد شمسان الشيباني، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٩.

ولقد لعب الالتباس بشأن الأولويات والاختلافات في الرأي داخل الحركة بشكل واضح دوراً بارزاً خلال صياغة الدستور، مما يدل على أن الحركة في تغيير مستمر – بعيداً عن كونها حزباً منظماً لديه أجنداء واضحة تستند بشكل أساس على الدين. فإنَّ حركة النهضة تعامل مع مجموعة واسعة من التحديات المتعلقة بالتحولات، بدءاً من نقص الخبرة في الحكم وصياغة الدستور ووصولاً إلى التوترات المتعلقة بموقفها بالضبط بشأن القضايا الجوهرية من حيث المبدأ والعقيدة. قد جعلت تحديات التكيف مع هذا الأمر صعباً على حركة النهضة كي تطور استراتيجيات متماسكة. إذ كانت الحركة جزءاً لا يتجزأ من مشهد المرحلة الانتقالية في تونس – والذي تشوهه الفوضى، والأخطاء، ونقط الضعف^(٤٠). لقد مال المحظون الغربيون لوصف الحركة على أنها حزب براغماتي، ومنظم، ومستعد لتقديم تنازلات لا سيما في ما يتعلق بالقضايا الرئيسية بشأن دور الدين في المجتمع وطبيعة النظام السياسي في تونس. وعلى سبيل المثال، يقول الباحثان فرانشيسكو كافاتورتا وريكي هوغبول إنَّ "البراغماتية تلعب دوراً أكبر من الدور الذي تلعبه مواقف إيديولوجية ثابتة" في تشكيل النهج الذي تعتمده حركة النهضة في المناقشات الدستورية^(٤١). في الوقت الذي كانت الأمور كذلك بالتأكيد، كان صحيحاً كذلك أنَّ المحليين الخارجيين الذين أُعجبوا بالبراغماتيين الشباب في الحركة وبدهائهم، مثل زياد العذاري وأسامي الصغير شددوا في بعض الأحيان على دور الحركة كقوة استيعابية، على حين أنهم تغاضوا عن مساومات سياسية واقعية ومصالح ذاتية، مثل محاولات المقرر العام للدستور الحبيب خضر النائب عن حركة النهضة لإدخال آرائه الخاصة في مسودة الدستور الثالثة الشخص الواحد، الصوت الواحد في أعلى بنيته، مجلس الشورى. غير ذلك، ترتبط حركة النهضة من خلال ما يصفه العديد من أعضائها بـ"المشروع الحضاري" المشترك: الإيمان بأن مبادئ الإسلام، المفسرة على نطاق واسع، لا تتوافق مع الحكم الديمقراطي فحسب، وإنما تساعد على بنائه؛ وأن الديمقراطية المطعمة بالإسلام – وهي نمط حكومي أصيل ومعروف في أوساط التونسيين من غير النخبة في آنٍ معاً – سيعالج الأزمة العالمية التي تواجهها البلاد المتمثلة في هيمنتها بعد مرحلة الاستعمار، وسيتقدم بها خلال طريق يوصلها إلى القوة والتجديد^(٤٢).

المبحث الثالث : المؤسسة الاعلامية في تونس

^{٤٠} اعليه علاني، "الحركات الإسلامية في الوطن العربي دراسة مقارنة بالحالة التونسية" - دار مصر المحرورة، القاهرة ٢٠٠٨، ص ٣٩.

^{٤١} مونيكا ماركس ، أي اسلوب اعتمدته النهضة خلال عملية صياغة الدستور التونسي :الاقناع و الاكراه ، او تقديم التنازلات دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكجز ، الدوحة ، قطر ، رقم ١٠ فبراير ٢٠١٤ ، ص ١٩ .

^{٤٢} فرانشيسكو كافاتورتا و ريكى هوغبول، "نهاية الحكم الاستبدادي وأسطورة تونس في ظل حكم بن علي". مجلة ميديا ترينيتي بوليتكنك ، العدد ٢ ، يونيو ٢٠١٢ ، ص ١٩٥-١٩٩ .

تعرضت عملية التنشئة الاجتماعية بصفة عامة لاسيمها السياسية في المدة الأخيرة إلى مجموعة من التفاعلات المستمرة، والتي نتج عنها تضاؤل الدور لبعض مؤسسات التنشئة التقليدية أو الأساسية كالأسرة والمدرسة ودور العبادة وجماعات الأقران لحساب مؤسسات أخرى استطاعت أن تجدد نفسها، وأن تخاطب قطاعات أوسع من المواطنين بحكم التطور الهائل في وسائل الاتصال الحديثة، ولعل أبرزها الفضائيات وموقع الانترنت التي ازدهرت بدرجة غير مسبوقة في تونس.

وتترزق أهمية هذه الوسائل بوصفها أبرز أدوات التنشئة الاجتماعية والسياسية الحديثة التي يكتسب من خلالها الفرد مجموعة من المعارف والقيم الأساسية اللازمة لبناء شخصيته وتحديد اتجاهاته الحياتية بصورة عامة ولاسيما السياسية. فلم يعد الانترنت فحسب مصدر للمعلومات المجردة، بل أصبح ساحة للتفاعلات والتجاذبات بين القيم الموجودة في المجتمع والقيم الجديدة التي ظهرت، نتيجة لظهور أشكال ومنافذ جديدة للتواصل الاجتماعي والفكري بين الشباب. فضلاً عما يتتيح من درجة الحرية غير المسبوقة وال الموجودة، والتي دفعت الشباب إلى المشاركة الفاعلة في مناقشة قضايا الشأن العام والتعبير عن نفسه بكل حرية بمنأى عن (٤٣) قيود البيئة السلطانية التي رسمتها معظم النظم الحاكمة فأتاحت هذه البيئة الجديدة فرص جديدة لم تكن موجودة للشباب المهمش والمنتمي إلى أقليات سياسية وعرقية، على نحو تحول معه الفضاء الإلكتروني إلى مجتمع صغير ينافش الأزمات والمشاكل من بدون تابوهات تقليدية أو قيود إلا ما يستحدثه الشباب أنفسهم من تنظيم لواقعهم أو مدوناتهم. فاقتصرت هذه الأدوات تابوهات السلطة والدين والجنس على نحو أصبح معه المجتمع "مكشوفاً" ولا يوجد فيه محركات في إطار القيم المجتمعية السائدة (٤٤). وما يخص تونس فقد قام نشطاء الانترنت بنشر المعلومات المتعلقة بموضوع إحراق محمد البوعزيزي نفسه والذي كان رافقاً في مستشفى الحروق البليغة بالعاصمة بين الحياة والموت، وتلك المتعلقة بالقمع البوليسي المتفشي هنا وهناك ضد المتظاهرين (٤٥) ولعب الفيس بوك بمستعملية، ويقدر تعدادهم بـ ٣ ملايين ونصف في بلد تعدادها عشرة ملايين نسمة، وكذلك الهواتف المحمولة، دوراً هاماً في إذاعة المعلومات وفي حشد المتظاهرين. ازداد كذلك استعمال تويتر في تونس طوال عام ٢٠١١، سواء من حيث عدد المستخدمين، أو حجم التغريدات التي قاموا بها. وكما هو الحال مع "فيسبوك"، يمكن أن يعزى جزء كبير من هذا التسامي إلى إحداث "الربيع العربي" الذي شهدته تونس وتأثيرها على فضاء الانترنت ولم ينعكس هذا التأثير فحسب على الأعداد المتزايدة من

^{٤٣} مونيكا ماركس ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢ .

^{٤٤} مروءة نظير، دور وسائل الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية الثورة المصرية نموذجاً، المركز العربي للدراسات والأبحاث، ٢٠١٢، ص ٣ .

^{٤٥} مروءة نظير ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .

المستعملين والتغريدات ولكن كذلك على التقلبات في عدد التغريدات اليومية والمواضيع الأكثر شعبية والكلمات المفتاحية الأكثر تداولاً خلال مدة "الربيع العربي" وعند النظر في التقلبات في حجم التغريدات اليومية وبعض هذا النزال بين الحادثيين والمحافظين يتبلور حول وسائل الإعلام، ويتبين أن الإسلاميين يجدون وسائل الإعلام لا تعكس نصرهم الانتخابي وموقعهم على رقعة الشطرنج السياسية^(٤٦).

أن بعض التقلبات أو "الموجات" بدت وكأنها متزامنة مع الأحداث الجارية في ذلك الوقت إذ ان قنوات التواصل في المجتمعات العربية ماتزال محدودة، مع غياب المجتمع المدني الحقيقي والحرفيات الإعلامية المحدودة والافتقار إلى مؤسسات حكومية تمثيلية. حتى قبل بضع سنوات، ولقد ظل تدفق المعلومات في تونس هرمياً ، إذ تتدفق المعلومات أساساً من أعلى إلى أسفل ومن الحكومة للمواطنين ووسائل الإعلام الرسمية للمجتمع ، لكن مع وجود مستعملين وسائل التواصل الاجتماعي خلال المنطقة والتقارب بين هذه المصادر الإعلامية مع وسائل الاتصال الأخرى، مثل الفضائيات والهواتف النقالة، وتتدفق المعلومات في تونس بسرعة أكبر، مما أدى إلى نشوء فرص جديدة للتمكين والمعرفة ساهمت بشكل مباشر أو غير مباشر في عمليات التتشئة السياسية^(٤٧). والجدير بالذكر ان وسائل الإعلام الرقمية قد شجعت الحوار المتعدد الأطراف بين الناس مباشرة، وذلك خلافاً للتلفزيون والإذاعة والوسائل الإعلامية الإلكترونية الأخرى. فخلال "ثورة بناء" ، لعبت وسائل الإعلام الاجتماعي دوراً حاسماً في معظم التحركات الشعبية، فإلى جانب التامي الكبير في استخدام وسائل الإعلام الاجتماعي فيما بين الشباب بتونس، فإن تصور انتشار وسائل الإعلام الاجتماعي كأداة تمكين للشباب والمرأة كان واعداً^(٤٨). إذا ما تم استخلاص الدروس من استعمال الشباب لوسائل الإعلام الاجتماعي خلال التحركات الشعبية الجارية في كل العالم العربي بصورة عامة ولاسيما تونس، تزايد شعور الشباب بالتمكين والقدرة ، فإن هذه المفاهيم الإيجابية القوية تشير إلى أن وسائل الإعلام الاجتماعي ستواصل لعب دور هام في تمكين أجزاء كبيرة من المجتمعات في المستقبل. ومن وجهة نظر المجتمع، فسوف يتم إدراك ذلك ما دامت مجموعات الشبان التونسيين تستمر في تبني وسائل اعلام التواصل الاجتماعي بهدف رئيس هو التأثير على التغيير في مجتمعهم^(٤٩). كما غير تامي استعمال الوسائل الاجتماعية سبل تفاعل الحكومات مع المجتمعات في المنطقة وقد كانت ردود فعل الحكومات العربية لهذه الظاهرة الجديدة

^{٤٦} طاهر ابو زيد ، دور الواقع الاجتماعية التقاعدية في توجيه الرأي العام الفلسطيني وأثرها على المشاركة السياسية (دراسة ميدانية)، جامعة الإسراء ، غزة ، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية ، سبتمبر ٢٠١٢ ، ص ٥٣.

^{٤٧} خالد رباعية، الانترنت بطل من أبطال حركات التحرر، وكالة معاً الإخبارية، ١٩ فبراير ٢٠١١ م على الرابط .<http://www.maannews.net/arb/ViewDetails>

^{٤٨} المصر نفسه ، ص ٣.

^{٤٩} متبع الهماش، الرأي العام الإلكتروني، مجلة الأمن والحياة ، العدد ٣٠٤ ، رمضان ١٤٢٨ هـ ، ص ٣٩.

مختلفة. في بينما حاول بعضها مقاومة التغيير، كان عدد قليل من الحكومات أكثر استجابة وبدأت بالتفكير وحاولت قليل من الحكومات الاستفادة من هذا النمو من خلال وضع سياسات لتنظيم استعمال وسائل التواصل الاجتماعي ومع استمرار القيود الحكومية المفروضة على وسائل الإعلام والمجتمع المدني والتمثيل السياسي في تونس، ونظراً لتزايد معدلات تغلغلها في المنطقة، سوف تواصل وسائل الإعلام الاجتماعي لعب دورٍ متّام في التنشئة الاجتماعية والسياسية وكذلك التحولات^(٥٠) السياسية والاجتماعية والاقتصادية في تونس، ومن وجهة نظر الحكومة، ففضلاً عن البنية المعلوماتية الجديدة ، سوف تستمر التحولات بوتيرة أسرع بشكل متزايد وستواصل تجاوز ضوابط وقيود الحكومات القائمة^(٥١). لكن المستقبل ليس وردياً بالكامل. فمن أجل أن تصل وسائل الإعلام الرقمية إلى قدرتها الكاملة كأداة للتنشئة الاجتماعية والسياسية الهدافة وللعمل المدني كذلك، تقع المسؤولية – كما هو الحال مع الأدوات جميعها – على عاتق مستعمليها. ولا تحل التكنولوجيا لوحدها أي شيء، فالتوظيف الناجح لوسائل الإعلام الرقمية من أجل تحسين أوضاع المجتمع المدني وتنشئته تنشأة جيدة لا يتطلب طاقة ومهارات المنتجين ذوي النوايا الحسنة فحسب، بل وكذلك المستهلكين المنتقدين والمدركون للتكنولوجيا الرقمية.

ومن أجل الخوض الناجح خلال هذه البيئة من وسائل الإعلام الجديدة، يجب على صانعي السياسة، والاستراتيجيين، والمنظمات غير الحكومية، والحكومات مقاومة الإغراء للعمل والاتصال من خلال نموذج القرية العالمية الذي أصبح قديم الطراز الآن^(٥٢)، وأن يعتمدوا على البيئة المحلية، من الأسف إلى الأعلى، وعلى البيئة المعدية لموقع توبيخ، ورسائل الفيس بوك، وتحديثات فورسكوير^(٥٣). ولقد ترك الناس مع أجهزتهم الخاصة فساهمت الواقع الاجتماعية التفاعلية في أداء دور رئيس في إخراج جيل الشباب العربي ومنهم التونسيين من حالة الاغتراب التي أصابته في ظل غياب عملية التنشئة السياسية، وفي رفع مستوى الوعي الثقافي السياسي بالحالة السياسية القائمة والتطورات التي تحدث لديهم ولدى أفراد المجتمع^(٥٤). لقد وفرت وسائل الإعلام الرقمية مجالاً لتشكيل جماعيات وابعاد تعبيئة، وظهور قوى لمعارضة قادرة على حمل الاحتجاجات والمطالبات إلى الساحة العامة، في ظل غياب

^{٥٠} المصدر السابق، ص ٤٤.

^{٥١} مروءة نظير، مصدر سبق ذكره، ص ٦.

^{٥٢} محمد ريان ، مصدر سبق ذكره ،ص ٢٨.

^{٥٣} محمد ريان، كيف تفجرت الثورة في ٢٥ يناير؟!.. الفيس بوك وأدوات التكنولوجيا الثورية، ط ١، دار اكتب للنشر والتوزيع،

^{٥٤} بيروت ٢٠١١، ص ٨٩.

^{٥٥} المصدر السابق، ص ٩٥.

حرية التعبير، وعدم سماح الدولة ووسائل الإعلام الجماهيرية للمجتمع بالتنظيم السياسي الذاتي ولا حتى بإمكانية وجود وجهات نظر نقدية مستقلة.^(٥٥)

الخاتمة والاستنتاجات :

١- ان الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيشه الجماعات والأفراد منذ ولادة الفرد وتكون الجماعة وحتى بلوغهما مراحل متقدمة انما يفضي الى انشاء فرد ومجتمع مؤدلج بطريقة محددة ومعينة مبتغاها من خلال مؤسسات التنشئة الاجتماعية العديدة والمتنوعة مثل الاسرة والاصدقاء والمدرسة والاحزاب وغيرها من المنظمات التي تعمل على تنشئة الأفراد وتربيتهم اجتماعياً وسياسياً لتكون عندئذ الميل و الآراء والاتجاهات السياسية ضمن الاطار العام للنظام السياسي الحاكم.

٢- ان عملية وهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية هي الوسيلة التي يمكن أن تحقق الاستقرار السياسي للنظام السياسي وبما أن عملية وهيئات التنشئة الاجتماعية السياسية تحت على الاستقرار من خلال طاعة الانظمة والقوانين التي تضعها بالطبع المؤسسات بالاشتراك مع النظام السياسي ، فان التنشئة الاجتماعية السياسية تساعد على بقاء وديومة واستقرار النظام السياسي بفضل قيام هيئات التنشئة بالتنشئة على الأفكار والخبرات والأساليب السياسية التي يعتمدها المجتمع بين أبناء الشعب، وتحاول زرعها في نفوس الأفراد والجماعات على اختلاف خلفياتها الاجتماعية والطبقية والالتزام بها.

٣-أن ما يُخلص إليه البحث فإن مستقبل التنشئة الاجتماعية السياسية في تونس تبقى ضمن مسارين المسار التحرري العلماني الذي يربى ويعلم وينشئ الأفراد على الأفكار الليبرالية والتحررية والعلمانية التي تبعد الدين عن الدولة وتحاول مواكبة النهج الأوروبي الغربي كطريق طويل كانت بداياته مع الاستقلال ،ومسار ثانٍ خالٍ المسار الأول متشوق للتربية وتنشئة الأفراد على الدين والتراجم والتقاليد المتوارثة معتمدة على الإسلام كمبدأ في التنشئة وتكوين اتجاه يعتمد كلّياً على المبادئ الإسلامية لكن بأساليب تربية وتنشئة متطرفة ومتعددة مثل الأحزاب والاعلام والبرلمان واماكن العمل وغيرها.

٤- يشير مفهوم التنشئة السياسية إلى العملية التي من خلالها ينقل المجتمع تفافته السياسية من جيل إلى آخر، أي أنها عملية (كسب) و(اكتساب) الفرد للثقافة السياسية للمجتمع ونقلها من جيل إلى جيل، وهي عملية تأخذ في مرحلة الطفولة شكل التلقين وفي المراحل العمرية المتقدمة شكل الإكتساب والاكتساب وعلى مستوى الأجيال شكل النقل والانتقال بشكل رسمي

^{٥٥} حازم عبدالحميد النعيمي ، في ضوء الثورات الشعبية بتونس ومصر : دور الانترنت وموقعه في تحرير المعلومة والرأي من القيود التقليدية ، مركز المستنصرية للدراسات السياسية والدولية ، العدد ٩، السنة السادس عشر، ص ٤.

وغير رسمي، مخطط وغوفي عبر قنوات تشمل: الأسرة، والرفاق، والمؤسسات التعليمية ودور العبادة والأصدقاء والمؤسسات الحكومية.

٥- تختلف طبيعة التنشئة السياسية من وقت لآخر تبعاً لاختلاف البيئة والظروف الاجتماعية والسياسية التي يعيشها المجتمع والجهة القائمة بعملية التنشئة وأغراضها، فعملية التنشئة مرتبطة إلى حد كبير بطبيعة الكيان السياسي القائم بها وما يسوده من أيديولوجية وما يتباين من سياسات وأساليب في تنظيم الناس وتوجيههم نحو هدف مشترك. وعلى هذا فإن عملية التنشئة السياسية لا تعتمد أسلوباً واحداً، وإنما تتتنوع أساليبها وفقاً للظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي يمر بها المجتمع، كما أن التنشئة السياسية عملية ديناميكية مستمرة يتعرض لها الفرد في مختلف مراحل حياته، وليس ضرورياً أن تتصل بمراحل عمرية معينة. ولذا تكمن أهمية التنشئة السياسية في ربط العلاقة بين المواطنين وقيادتهم من خلال التأكيد على الأهداف السياسية وشرح مفاهيم كالشرعية والولاء وعلاقة الحاكم بالمحكوم.

٦- تعرضت عملية التنشئة الاجتماعية بصفة عامة والتنشئة السياسية بصفة خاصة في المدة الأخيرة إلى مجموعة من التفاعلات المستمرة، والتي نتج عنها تضاؤل الوزن النسبي لبعض مؤسسات التنشئة التقليدية أو الأساسية كالأسرة والمدرسة ودور العبادة وجماعات الأقران لحساب مؤسسات أخرى استطاعت أن تجدد نفسها، وأن تخاطب قطاعات أوسع من المواطنين بحكم التطور الهائل في وسائل الاتصال الحديثة، ولعل أبرزها الفضائيات ومواقع الانترنت التي ازدهرت بدرجة غير مسبوقة. وتزايد أهمية الانترنت في هذا الإطار بوصفه أحد أبرز أدوات التنشئة الحديثة التي يكتسب من خلالها الفرد مجموعة من القيم الأساسية اللازمة لبناء شخصيته وتحديد اتجاهاته الحياتية. فلم يعد الانترنت فقط مصدر للمعلومات المجردة، بل أصبح ساحة لتفاعلات والتجاذبات بين القيم الموجودة في المجتمع والقيم الجديدة التي ظهرت نتيجة لظهور أشكال ومنافذ جديدة للتواصل بين الشباب. فضلاً عما يوفره من درجة الحرية غير المسبوقة الموجودة، والتي دفعت الشباب العربي إلى المشاركة الفاعلة في مناقشة قضايا الشأن العام والتعبير عن نفسه بكل حرية بمنأى عن قيود البيئة السلطانية التي رسختها معظم النظم الحاكمة.

٧- إن التنشئة ولاسيما الثقافية في تونس تشهد أزمة مدام تحصر بين هذين المسارين إذ انهما انسحبا على كل التفاصيل اليومية للشعب التونسي ووصلت إلى المجال السياسي، والأزمة تزداد بتعقيد الفهم لأهمية التنشئة الاجتماعية والسياسية وإغفال البنى الاجتماعية التي تشكل وعاء التفاعل وربط السياسي بالاجتماعي ودراسة السلوكيات السياسية ضمن أبعادها الاجتماعية، فضروري الأخذ بعين العناية الواقع الاجتماعي المتباين للخصوصيات من دون إسقاط التغييرات على المجتمع المتميز بالتحولات والصراعات بشأن القوة داخل المجتمع،

سياسية كانت أو اقتصادية أم ثقافية أم دينية بوجهها الإيجابي والسلبي، فضلاً عن المقتربات المواتية للدراسة والتحليل التي تناسب مواضيع من قبيل الأحزاب، والعنف الاجتماعي، والنخب السياسية، والأصولية، والبرورقراطية، والمشاركة السياسية، وجماعات الضغط، وعلاقة كل ذلك بالتشنة الاجتماعية والسياسية وكيفية توجيه الأفراد لتكوين اتجاهات سياسية تماشى وتصالح مع النظام السياسي من جهة وكل مكونات الشعب التونسي من جهة ثانية بهدف تحقيق مستوى من الانضباط السياسي.

-٨. لقد جاء الانتفاض السياسي في تونس بفعل القوى الاجتماعية والسياسية التي تفاعلت تلقائياً مع الأحداث، وأطرتها بمعزل عن قيادات الأحزاب والمنظمات السياسية والاجتماعية القائمة. وقد لعبت القوى الشبابية بمختلف مكوناتها من عاطلين عن العمل - من حملة الشهادات وغيرهم - وطلبة الجامعات، وتلامذة المدارس والمعاهد، ومن عمال وموظفين إطاراً لاسيما من المدرسين والمتفقين والنخب - دوراً حاسماً في إنجاح عمليات الاحتجاج الشعبي في الشوارع والساحات، ومحاصرة المؤسسات، والدفع بالثورة في اتجاه النجاح، الأمر الذي يؤكد اختلاف المبادئ الأساسية المفترضة عن التشنة واختلاف النظريات العلمية بشأن تكوين الاتجاهات السياسية التي تتوحد عند الأفراد والجماعات في أوقات الانتفاضات والثورات ، مهما كانت منابع التشنة الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية ومهما اختلفت تكويناتهم واراؤهم السياسية.

-٩- ان مجالات التشنة السياسية في تونس، بعد الثورة، غدت متعددة في فضاء عام يتمدد إلى ما لا نهاية: أحزاب، جمعيات، نوادي وغيرها من حلقات التشنة السياسية. ولكن، لن تحلّ المعضلة، ما لم يُعاد النظر في قيم التشنة السياسية تلك، بما يدعم فكرة المشترك السياسي واستبعاد مفردات الإقصاء والعنف نهائياً، بما فيه ما يمكن عده عنفاً ثورياً.

المصادر:

- ١- الحبيب الدرويش و منير السعیدانی ، التنمية المحلية في تونس: المجتمع المحلي والتنمية: الاستراتيجيات والتحديات ، جامعة صفاقس ،قسم علم الاجتماع ، ٢٠٠٦ ، ٩٩ ص
- ٢- السيد كيشوري سينغ ، تقرير المقرر الخاص المعنى بالحق في التعليم ، البعثة إلى تونس (٣٠ نيسان/أبريل - ٩ أيار/مايو ٢٠١٢) ، الجمعية العامة للأمم المتحدة ، مجلس حقوق الإنسان .
- ٣- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ؛ مدرسة المستقبل ، تونس ، الألكسو ، إدارة برامج التربية؛ المؤتمر الثاني لوزراء التربية التعليم والمعارف العرب ، دمشق ٢٧ - ٢٨ ربیع الثانی ١٤٢١ھ - ٢٩ - ٣٠ يولیو / تموز ٢٠٠٠ م .

- ٤- حافظ عبد الرحيم، *الزبونة السياسية في المجتمع العربي، قراءة اجتماعية- سياسية في تجربة البناء الوطني بتونس*، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، آب ٢٠٠٦ >
- ٥- طاهر ابو زيد ، دور المواقع الاجتماعية التفاعلية في توجيه الرأي العام الفلسطيني وأثرها على المشاركة السياسية (دراسة ميدانية)، جامعة الازهر ، غزة ، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية ، سبتمبر ٢٠١٢ .
- ٦- عز الدين دخيل ، الادماج والاندماج...الرهانات والاستراتيجيات والمرجعيات ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي والتكنولوجيا، جامعة تونس ، المعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي، تونس. ٢٠١٠.
- ٧- فرانشيسكو كافاتورتا و ريكى هوستراب هوغبول، "نهاية الحكم الاستبدادي وأسطورة تونس في ظلّ حكم بن علي". مجلة ميديتيرانيين بوليتิกس ، العدد ٢، يوليو ٢٠١٢ .
- ٨- محمد نجيب بو طالب ،*الأبعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية - مقاربة سوسيولوجية للثورتين التونسية والليبية* ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، سلسلة دراسة واوراق بحثية ، الدوحة، بلا ، ٢٠١١ .
- ٩- مونيكا ماركس ، أي اسلوب اعتمدته النهضة خلال عملية صياغة الدستور التونسي :*الاقناع و الاكراه ، او تقديم التنازلات* - دراسة تحليلية صادرة عن مركز بروكنجز ، الدوحة ، قطر ، رقم ١٠ فبراير ٢٠١٤ .
- ١٠- وزارة التربية والتكوين ؛ الإدارة العامة للبرامج والتكوين المستمر ، تونس ٤ .
- ١١- احمد القصاب ،*تاريخ تونس المعاصر* ، ترجمة: حمادي الساحلي ، الشركة التونسية للتوزيع ، قرطاج ، تونس، ١٩٨٦ ، ص ٢٩٤ .
- ١٢- أعلية علاني ، *الإرهاب في تونس: الجذور وآفاق التجاوز وطنياً وعربياً*- جامعة منوبة- تونس ، بحث القى في المؤتمر الدولي الأول لوزارة حقوق الإنسان تحت شعار: "الإرهاب انتهاك لحقوق الإنسان ، بغداد - ٩ و ١٠ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٣ .
- ١٣- اعلية علاني ،*الحركات الإسلامية في الوطن العربي - دراسة مقارنة بالحالة التونسية* - دار مصر المحرورة ، القاهرة ، ٢٠٠٨ .
- ١٤- بلقاسم بن سالم ؛*التعليم العصري ونظام التوجيه المدرسي في تونس* ، دراسة تاريخية مؤسسية اجتماعية ، تونس: الجامعة التونسية ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية ١٩٨٨ ، سلسلة علوم التربية .
- ١٥- حازم عبدالحميد النعيمي ، في ضوء الثورات الشعبية بتونس ومصر : دور الانترنيت ومواقعه في تحرير المعلومة والرأي من القيود التقليدية ، مركز المستنصرية للدراسات السياسية والدولية ، العدد ٩٩ ، السنة السادس عشر .

- ١٦- حايم ملكا ، الصراع على الهوية الدينية في تونس والمغرب العربي ، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية ، برنامج الشرق الأوسط CSIS، ايار امايو ٤ ٢٠١٤ .
- ١٧- خالد رباعية، الانترنت بطل من أبطال حركات التحرر، وكالة معاً الإخبارية، ١٩ فبراير ٢٠١١ م على الرابط، <http://www.maannews.net/arb/ViewDetails>.
- ١٨- رضوان احمد شمسان الشيباني ، الحركات الاصولية الاسلامية في العالم العربي ، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، ط ١٥٠٠، ٢٠٠٥ .
- ١٩- رضوان احمد شمسان الشيباني، مصدر سبق ذكره ،ص ٥٥ . *المثير للأهمية هو أن قائد النهضة راشد الغنوشي رفض فكرة الإسلام التونسي التقليدي وأكد أن «الإسلام واحد والقرآن والسنة واحد» وأشار عوضاً عن ذلك إلى «الثقافة الإسلامية التونسية». مقابلة الكاتب حايم ملكا مع رشيد الغنوши، وشنطن، ٢٦ شباط/فبراير ٤ ٢٠١٤ .
- ٢٠- عبد الله محمد الغذامي ، القبيلة والقبائلية او هويات ما بعد الحادثة، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، الدار البيضاء ، ط ٢٠٠٩ .
- ٢١- متعب الهماش، الرأي العام الالكتروني، مجلة الأمن والحياة ، العدد ٣٠٤ ، رمضان ١٤٢٨ .
- ٢٢- محمد نجيب بو طالب ،الابعاد السياسية للظاهرة القبلية في المجتمعات العربية مقاربة سسيولوجية للثورتين التونسية والливبية ،
- ٢٣- مروء نظير، دور وسائل الإعلام الجديد في عملية التنشئة السياسية الثورة المصرية نموذجا، المركز العربي للدراسات والأبحاث، ١٢ ٢٠١٢ .
- ٢٤- هاشمي أجيلي ، خصائص قانون الأسرة في تونس ، نشر في الاتحاد الاشتراكي يوم ٣١-٥-٢٠١١ ،
- ٢٥- هدى والي شويع ، اشكالية صياغة الدساتير في الوطن العربي بعد التغيير(تونس نموذجا)، رسالة ماجستير منشوره ،كلية العلوم السياسية ، الجامعة المستنصرية ، ١٤ ٢٠١٤ . على محرك البحث الاخباري مغرس : <http://www.maghress.com> :
- ٢٦- محمد ريان، كيف تفجرت الثورة في ٢٥ يناير؟!.. الفيس بوك وأدوات التكنولوجيا الثورية، ط ١،دار اكتب للنشر والتوزيع، بيروت ٢٠١١
- 27-Azzam S. Tamimi, Rachid Ghannouchi, A Democrat within Islam (London, 2001),p55
- 28-Hamdi Mohamed el-Hachmi, The Politicisation of Islam: A Case Study of Tunisia (Colorado, 2000); Mohammed Harbi, L'islamisme dans tous ses états)Paris, 1991,p 99

-٢٩- البيان الختامي للمؤتمر ١٨ للنهضة، ٢٠٠٨ . مقابلات أجرتها مجموعة الأزمات مع نشطاء في النهضة، تونس، سوسة، حزيران/يونيو ٢٠٠١ كانون الأول/ديسمبر ٢٠٠٢ .